الكرسي الرسولي

كلمة قداسة البابا فرنسيس

في الحفل الختامي للقاء الأديان

الذي نظمته جماعة سانت إيجيديو

"شعوب متآخية، أرض المستقبل. ديانات وثقافات في حوار"

7 تشرين الأوّل/أكتوبر 2021

ساحة مدرج الكولوسيوم

[Multimedia]

الإخوة والأخوات الأعزّاء!

أحييكم وأشكركم جميعًا، رؤساء الكنائس والسّلطات السياسيّة وممثّلي الأديان العالميّة الكبرى. جميلٌ أن نكون هنا معًا، ونحمل في قلوبنا وفي قلب روما وجوه الأشخاص الذين نعتني بهم. ومهمّ، قبل كلّ شيء، أن نصلّي ونشارك، بطريقة واضحة وصادقة، في اهتمامات حاضر ومستقبل عالمنا. اجتمع في هذه الأيام العديد من المؤمنين، وأعلنوا أنّ الصّلاة هي القوّة المتواضعة التي تمنح السّلام وتنزع الكراهية من القلوب. وفي لقاءات مختلفة، عبّر المجتمعون عن قناعتهم بضرورة تغيير العلاقات بين الشّعوب، وعلاقات الشّعوب مع الأرض. لأنّنا نحلَم، هنا اليوم معًا، بشعوبٍ متآخية وبأرض المستقبل.

شعوب متآخية. نقول هذا ومدرج الكولوسيوم خلفنا. كان هذا المدرّج، في الماضي البعيد، مكانًا لترفيه الجماعات بطرق متوحشة: كانت معارك بين رجال ورجال، وبين رجال وحيوانات. كان مشهدًا لقتل الإخوة، ولعبة الموت مادتها حياة الكثيرين. ولكن، حتّى اليوم، نحن نشهد العنف والحرب، حيث يقتل الأخ أخاه، وكأنّها لعبة ننظر إليها من بعيد، غيرَ مبالين، ومقتنعين بأنّها لن تطالنا أبدًا. وألَمُ الآخرين لا يستعجلنا. ولا حتّى ألم الذين سقطوا، والمهجّرين، والأطفال المحاصرين في الحروب، والمحرومين من الطّفولة الهانئة وألعابها. لذا، لا يمكن أن نلعب بحياة الشّعوب والأطفال. ولا يمكننا أن نبقى غير مبالين. على العكس، من الضّروري أن نتعاطف ونعترف بالإنسانيّة المشتركة التي ننتمي إليها، بما فيها من متاعب، وصراعات، وضعف. ونفكر: "كلّ هذا يهمني، كان يمكن أن يحدث هنا أيضًا، لي أيضًا". في مجتمع

إنّها الحرب التي تسخر من حياة الإنسان. إنّه العنف وإنّها تجارة الأسلحة المأساويّة والذي يزداد إنتاجها، التي تتحرّك غالبًا في الظلّ، وتغذّيها أنهار خفية سُفلِيّة من المال. أريد أن أكرّر أنّ "الحرب هي فشل السياسة وفشل الإنسانيّة، وهي استسلامٌ مُخجل، وهزيمة أمام قوى الشرّ" (الرّسالة العامّة البابوية *Fratelli tutti (كلّنا أخوة)*، 261). يجب أن نتوقف عن النظر إليها غير مبالين وكأنّها أخبار فقط نسمعها، بل لنجتهد ولننظر إليها ونراها من خلال عيون الشعوب. قبل عامين، في أبو ظبي، ومع أخي العزيز الحاضر هنا، فضيلة الإمام الأكبر، إمام الأزهر، دعَونا إلى الأخوّة الإنسانيّة من أجل السّلام، وتكلّمنا "باسمِ الشُّعُوبِ التي فقَدَتِ الأَمْنَ والسّلامَ والتّعايُشَ، وحَلّ بها الدّمارُ والخَرَابُ والتّناحُر" (*وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك*، 4 شباط/فبراير 2019). نحن، الممثلين للأديان، مدعوون إلى ألاّ نستسلم لإغراءات السّلطات الأرضيّة، ولنكون صوتًا لمن لا صوت له، وسندًا للمتألمين، ومحامين عن المظلومين، وضحايا الكراهية، والذين يرفضهم الناس على الأرض، ولكنّهم عزيزون أمام ساكن السّموات. اليوم هم خائفون، لأنّه في أنحاء كثيرة من العالم، بدلاً من أن يسود الحوار والتعاون، تستعيد المواجهة العسكرية حِدّتها لتكون أداة حاسمة ليفرض الإنسان نفسه على غيره.

لذلك أودّ أن أعبّر مرة أخرى عن الإرشاد الذي قدمته في أبو ظبي في الواجب الذي لا يمكن تأجيله والذي يخص الأديان "في هذه المرحلة التاريخيّة الدقيقة: أن نجرّد قلب الإنسان من السّلاح" (*كلمة في لقاء الحوار بين الأديان*، 4 شباط / فبراير 2019). إنّها مسؤوليتنا، أيّها الإخوة والأخوات المؤمنون، أن نساعد في استئصال الكراهية من القلوب والتنديد بجميع أشكال العنف. بكلمات واضحة لنشجع على هذا: إلقاء السّلاح، وتقليص الإنفاق العسكري لتوفير الاحتياجات الإنسانيّة، وتحويل أدوات الموت إلى أدوات حياة. يجب ألاّ تكون هذه كلمات فارغة، بل طلبات ملحة نرفعها لخير إخوتنا، وضد الحرب والموت، باسم من هو السّلام والحياة. أسلحة أقل وطعام أكثر، ونفاق أقل ومزيد من الشفافيّة، ومزيد من اللقاحات الموزعة بشكل عادل، وتقليص الأسلحة المباعة بطريقة عبثية. هذا الزمن يطلب منا أن نكون صوت العديد من المؤمنين البسطاء العُزّل الذين سئموا العنف، حتى يلتزم الذين في يدهم مسؤوليّة الخير العام، ليس فقط بإدانة الحروب والإرهاب، بل بخلق الظروف المناسبة حتى لا تشتعل.

حتى تكون الشعوب إخوة، يجب أن تصعد الصّلاة باستمرار إلى السّماء، ويجب ألاّ يكف صدى كلمة واحدة عن التردّد على الأرض: السّلام. كان القديس يوحنا بولس الثاني يحلم بمسيرة مشتركة للمؤمنين، تنطلق من ذلك الحدث نحو المستقبل. أيّها الأصدقاء الأعزّاء، نحن اليوم في هذه المسيرة، لكلّ منا هويته الدينيّة الخاصة، لنزرع السّلام باسم الله، وللاعتراف بأنفسنا إخوةً. أشار البابا يوحنا بولس إلينا بهذا الواجب وقال: "السّلام ينتظر أنبياءه. السّلام ينتظر صانعيه" (*كلمة أمام ممثلي الكنائس المسيحية والجماعات الكنسية وأديان العالم المجتمعين في أسيزي*، 27 تشرين الأوّل/أكتوبر 1986). بدا ذلك التفاؤل للبعض فارغًا. ولكن على مرّ السّنين نمت المشاركة ونضجت قصص الحوار في عالم الأديان المختلفة، وألهمت مسارات السّلام. هذا هو الطريق الصحيح. قد يُوجد من يريد الانقسام وخَلق الصّدامات، أمّا نحن فنؤمن بأهمية أن نسير معًا من أجل السّلام: بعضُنا مع بعض، وليس بعضُنا ضد بعض، أبدًا.

أيّها الإخوة والأخوات، مسيرتنا تتطلب باستمرار أن ننقي قلوبنا. فرنسيس الأسيزي، الذي كان يطلب من أتباعه أن يروا في الآخرين "إخوة، لأنّهم خُلقوا جميعًا من الخالق الواحد"، كان يوصي بهذه الوصية: "السّلام الذي تعلنوه بأفواهكم، اجعلوه وافرًا في قلوبكم" (قصة الرفقاء الثلاثة، 1469 *FF* 5: XIV، 5). السّلام ليس قبل كلّ شيء اتفاقًا يتم التفاوض عليه، أو قيمةٌ وموضوع حديث، لكنّه بشكل رئيسي موقف في القلب. إنّه يولد من العدل، وينمو في الأخوّة، ويعيش من المجانية. ويحثّنا على "أن نخدم الحقيقة وعلى القول، بدون خوف ولا أعذار، إنّ الشّر شر متى وقع، وأيضًا وخصوصًا عندما يقول صانع الشّر إنّه من أتباع ديانتنا" (*رسالة للمشاركين في منتدى الأديان G20، 7 2021*، أيلول/سبتمبر 2021). باسم السّلام، من فضلكم، لننزع في كلّ تقليد ديني، فتيل تجربة الأصوليّة، وكلّ تلميح لجعل الأخ عدوًا. بينما يقع الكثيرون في المعارضات، والتحزبات، وألاعيب المخاصمات، نحن لنردّد قول الإمام علي: "الناس اثنان: إمّا أخوك في الدين، أو نظيرك في الخلق". ولن يكون انقسام آخر.

الشعوب المتآخية يحلمون بالسّلام. لكن حِلم السّلام اليوم يقترن بحِلم آخر، وهو حِلم أرض المستقبل. إنّه الالتزام برعاية الخليقة، من أجل البيت المشترك الذي سنتركه للشباب. الأديان، التي تُنَمِّي موقفَ تأمُّل لا موقف استملاك،

أكرّر ما أظهرته لنا الجائحة، وهو أنّه لا يمكننا أن نبقى دائمًا معافين في عالم مريض. في الآونة الأخيرة، أصيب الكثيرون بمرض النسيان، نسيان الله والإخوة. وقد أدى ذلك إلى سباق جامح من أجل الاكتفاء الذاتي الفردي، خرج عن مساره في جشع لا يشبع، والأرض التي نسير عليها تحمل أثر جراحهم، والهواء الذي نتنفسه مليء بالمواد السامة وفقير في التضامن. وهكذا، فقد سكبنا تلوث قلوبنا على الخليقة. في هذا المناخ المتردِّي، يعزينا أن نفكر في أنّ نفس الاهتمامات ونفس الالتزام آخذة بالنضوج لتكوّن تراثًا مشتركًا لأديان كثيرة. الصّلاة والعمل يمكن أن يصحِّحا توجيه مسار التاريخ. تشجعوا أيّها الإخوة والأخوات! أمام أعيننا رؤية، هي رؤية شباب وأناس كثيرين ذوي إرادة صالحة: الأرض بيت مشترك تسكنه شعوب متآخية. نعم، لنحلم، ديانات أخوات، وشعوب إخوة! والديانات الأخوات تساعد الشعوب على أن يكونوا إخوة في سلام، وحراسًا متصالحين لبيت الخليقة المشترك. شكرًا.

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2021

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana